الألفاظ القرآنية المعرَّبة بين الرفض والتأييد

د . أحمد جلايلي
جامعة ورقلة
الجزائر

الملخص : هذا المقال هو عبارة عن جمع لآراء علماء اللغة قديما وحديثا في مسألة الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم بألفاظ غير معلومة في لغة العرب،وكان لهؤلاء العلماء وجهات نظر متناقضة متعارضة ، فطائفة منها تؤيد كونها ألفاظا أعجمية تعرّبَ بالاستعمال،وأخرى تعارض الأعجمية في النص القرآني باعتبار أنه النص العربي المبين بدليل النصوص النقلية.

التمهيد : اَلْمُعَرَّبُ[1] هو نقل اللفظ من لغة أجنبية إلى اللغة العربية وإخضاعه لأصواتها وإعرابها،في زمان عصر الاحتجاج[2] ، و هذا هو مرادهم بمصطلح التخليط في الأسماء الأعجمية[3] ، مثل : إبراهيم ، وإبريق، و السندس ، و غيرها .

ونعني بالمعرب في هذا المقام الألفاظ القرآنية التي اختلف اللغويون في لغاتها الأصلية ، فمنهم من أنكر اللفظ الأعجمي في القرآن الكريم، بحجة أن القرآن العربي نزل بلسان عربي مبين ،كما هو صريح في الآية :﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾[4]،فظاهر قوله تعالى : ﴿بلسان عربي مبين ﴾ لا يدع مجالا للإقرار بوجود اللفظ الأعجمي في القرآن الكريم،وإلى هذا ذهب أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 208هـ)[5]؛وكان يرد وينفي كل ما نسب فيه من ألفاظ قرآنية إلى لغة أجنبية[6].وذهب بعض العلماء إلى الاعتراف باللفظ الأجنبي في النص القرآني ؛وجعله من قبيل التعريب[7]،وأَلَّفُوا فيه مصنفات ورسائل.

ويذكر أن ابن عباس-رضي الله عنهما- كتب رسالة عنوانها : «كتاب اللغات في القرآن» ، ونبه فيها إلى لغات الفرس و النبط والحبشة المتواجدة في

القرآن الكريم ، وألف محمد بن هشام الكلبي (ت 204هـ) ، والفراء (ت 207هـ) ، و الأصمعي (ت 213هـ) ، وأبو زيد الأنصاري (ت215هـ) ، و ابن دريد (ت 321هـ) ، و أبو منصور الجوالقي (ت 540هـ) ، والسيوطي (ت 911هـ) ، و أحمد بن كمال باشا(ت 94هـ) ، وشهاب الدين أحمد الخفاجي (ت 1061هـ)[9]، و غير هؤلاء من العلماء الذين كانت لهم إسهامات كتابيّة في هذا الموضوع ، سواء كانت مؤلفات خاصة ، أو مباحث في ثنايا كتب النحو و اللغة و التفسير بدءا بكتاب سيبويه .

حقا إن آراء العلماء – قدامى ومحدثين – في هذه الألفاظ متعارضة ، تتنوع بين مؤيّد و رافض ، ولتوضيحها ارتأينا أن نعرض مجموعة من الألفاظ التي دار حولها حديث التعريب ، وهي كالآتي :

1 – آدم : (ADAM) :

يقول أحد المفسرين : « آدم بوزن أحمر من الأُدْمَةِ بمعنى السُّمْرَة، و لا بأس بها في الجنة ، ولأنه لم يدخلها جزاءً ، أو سَمُرَ بعد الخروج ، وفسّر بعضهم الأدمة بالبياض ، أو من الأَدَمَة – بفتح الهمزة و الدال – وهو القدوة ، أو من أديم الأرض ، أي : من جلدها ، أي : ظاهرها ، ومن الأدم أو الأدمة بمعنى الأُلْفة... وقيل : عجميّ ، بوزن شالخ و آزر ، فألفه أصل »[10]. و يقول في موضع آخر :« و آدم اسم عجميّ ، لا دلالة له على معنى سوى ذاته كما هو الأصحُّ ، أو أصله من الأُدْمَة و هو لون إلى سواد ، أي : سيكون كذلك إذا خرج إلى الدنيا ، أو هو كذلك ،حتى إذا أُدْخِلَهَا جزاءً كان أبيضَ ، أو أَفْعَل من أديم الأرض ، وهو عربي على الوجهين ومرَّ ذلك »[11] ..

يبدو في النص الأول أن التحليل الصرفي و المعجمي عند محمد بن يوسف اطفيش هو إثبات عربيّة آدم ، إذ عرض دليلين : أولهما : أن آدم على وزن "أَفْعَل"

، و هي صيغة صرفية عربيّة . و ثانيهما : الاشتقاق من مـــادة " أدم " ، و منـــع "آدم" من الصرف لتوفر شرطين ، هما : وزن "أَفْعَل" ، والعَلَمِيَّة . وهذا هو الـــرأي المعوّل عليه، بدليل أن عجمة اللفظ منسوبة في آخر النص إلى قول مجهول بصيغـــة "قِيلَ".

و في النص الثاني يشير المفسر نفسه إلى عجمة "آدم" ، لأنه لا دلالـــة لـــه على معنى سوى ذاته ، و في النص نفسه يقول باشتقاقه من" أَدَم" ، و هـــو علـــى وزن "أَفْعَل" .

إن عناصر التحليل كلها في هذا النص تشير إلى القول بعربيّة اللفظ ، لأنـــه وجد له توجيها عربيا ، معنى و لفظا ، عملا بقوله : « ومن العجيـــب أن توجـــد للكلمة معنى صحيح في العربية و يحملوها على العجميّة »[12] . و إلى هذا الـــــرأي ذهب كثير من اللغويين[13] ، و هم في ذلك جميعا مستندون إلى أقوال النحاة الداعية إلى عربية " آدم " فأجروا عليه صياغات صرفية ، من جمع ؛ وتصغير؛ ووزن علـــى "فَاعِل" ، و قالوا فيه ، "أوادِم" و"أُوَيْدِمُ"، و"آدم" بمنزلة خالد[14].

وذهب الجواليقي إلى أن أسماء الأنبياء كلها أعجمية إلا أربعة أسماء هـــي : آدم و صالح و شعيب ومحمد[15]. و لم يدرج لفظ "آدم" كثـــير مـــن اللغويـــين في مؤلفاتهم لصحة عربيته فيما يعتقدون[16] . وعلى كل حال فلا تخفى أعجميته كمـــا هو واضح في اللغات الأجنبية .

2 – أَبَـــار يقُ : (BROC)

لقد ودت كلمة "أباريق" في قوله تعالى : ﴿ **يطـــوفُ ع لَيْـــهِمْ وِلْـــدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَ كَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ** ﴾[17] ، واختلف اللغويون في أصلـــها اللغوي ، فقال فريق فيها : إن أباريق جمع إبريق ، و هو إناء له خرطوم ، و قيـــل كل إبريق له خرطوم وعروة ، مشتق من البريق و هو اللمعـــان ، و هـــو وعـــاء

يستعمل للخمر عادة ، يتخذ مما يبرق كالفضة والبلور ، ثم استعمل فيما له خرطوم وعروة ، ولو لم يكن ذا بريق ، وزعم بعض أن إبريقا معـــرب (آبْرِيـــزْ) ، أي : صابّ الماء [18].

فمنهج التحليل لكلمة "أباريق" عند هؤلاء اللغويين يعتمد على المناقشـــة الصرفية للكلمة ، ذاكرا جمعها ومفردها ، و الفعل المشتق منه ، ثم معانيـــها ، أي : ذكر الدلالة الأولى التي أطلقت على الإبريق ، وهي كل إناء لاَمِعٍ ذي خرطوم ، ثم ذكر الدلالة المتطورة وهي كل آلة : وعاءً كانت ؛ أو دلوًا ؛ أو جرَّة ؛ ولـــو لم تكن ذا بريق ، و في ذلك دليلهم على عربية اللفظ و إنكارهم لعجمته .

بينما يرى آخرون أن أباريق أعجمية الأصل ، وهي في لغة الفرس "آبْرِيز" ومعناها : طريق الماء ، أو صبُّ الماء[19] .

وقال الثعالبي فيها :«هي من الألفاظ التي اضطر العرب إلى تعريبها»[20].

و قال ابن دريد (ت321هـــ) : « و الإبريق فارسي معرّب ، فأما قولهـــم ، سيف إبريق ، فهو إِفْعِيل ، من البرق وهو عربي صحيح »[21].

و لكن على الرغم من كثرة التصريحات بأعجمية اللفظ ، يبدو أن عربيـــة اللفظ مرشحة للصواب ، وما يزيد هذا الرأي تأييدا قول ابن دريد في «ســـيف إبريق ، فهو إفعيل ، من البرق ، و هو عربي صحيح » ، لأنه إذا سمـــي الســـيف إبريقا على وزن إفعيل من البرق وكان عربيا صريحا فلماذا لا يكون هـــذا الإنـــاء إبريقا ؛ مادام البريق حاصلاً ؟ ولا سيّما إذا كان مصنوعا من خزف أو معدن ذي بريق ! وليس فيه ما يضطر إلى تعريبها – خلافا لقول الثعالبي – لوجـــود اللفـــظ البديل في لغة العَرَب[22]، ولوجود المادة العربية للاشتقاق وهي"بَـــرَقَ" ، وقوالـــب صرفية عربية مستخدمة ، وهي وزن "إِفْعِيـــل" ، والجمع "أَفَاعِيل" ، وفيـــها مـــن حروف الذلاقة[23] ، و هما : الباء و الراء ، و لا تجتمع فيها حروف ينبـــو منـــها

اللسان العربي ، لذلك ليس غريبا أن نقول بعربيّة "أباريق" ، ونعد ما ورد في الفارسية "آبْريز" ، و في اليونانية (BROXIS) ،وفي اللاتينية (BROCCIS) ، وفي الفرنسية (BROC)، و في الإيطالية (BROCCA) ،و في السريانية (ابْريقا)[24] هو من تشابه و توافق اللغات ! و ليس عجيبا أيضا أن نقول : إنَّ "إبريق" عربية الأصل ، و منها أخذت هذه اللغات ! وخاصة إذا كان الأصل الفارسيُّ المدَّعى مختلف فيه ،[25] وفي هذه الحالة يكون التعجيم أولى من التعريب.

3 – إسْتَبْرَقٌ :

"الإستبرق" هو ما غلظ من ثياب الحرير ، أو الديباج الغليظ الحسن ، وقيل : هو الثياب المنسوج من الذهب[26] ، هذه أهم معاني الإستبرق ، سواء كانت الكلمة عربيّة أو معرّبة ، و هي المعاني نفسها التي ذكرها كثير من المفسرين أثناء تفسيرهم لقوله تعالى : ﴿ **عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ** ﴾[27] ، إذ قالوا فيها : هو معرَّب من الفارسية ، أصله "اِسْتَبْرَهْ". و قالوا "اِسْتَرْوَهْ" ، و هو قول لابن دريد ، إلا أنه قال : سرياني . و قيل "اَسْتَفْرَهْ" ، بالباء الفارسية . و قيل : عربي من البريق ، كما يجمع بحذف الزوائد ، إلا الهمزة على أبارق و يصغر على"أُبَرِيق"، وهو فكرة أو علم جنس مصروف أو ممنوع[28] .

و ما يستشف من النص السابق أن اللفظ معرب من اللغة الفارسية ، كما صرح به كثير من الدارسين[29] ، و لا يحتمل أن يكون عربيا من البرق ، حسب المراجع التي اهتمت بهذا الموضوع ، لما فيها من خفاء المناقشة وغياب الدفاع عن عربية اللفظ.

4 – الْإِنْجِيلُ (L'EVAMGILE) :

ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَ أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَ الْإِنْجِيلَ** ﴾[30] أن الإنجيل من النَّجْلِ ، وهو التَّوْسِعَة ، لأن فيه التوسعة لأشياء ضيّق عليها في التوراة ، و العين

النجلاء الواسعة ، أو من النجل بمعنى الظهور ، لظهوره في اللوح المحفوظ ، أو لاستخراجه منه ، أو من التناجل ، وهو التنازع لكثرة التراع فيه .

واحتج هذا الفريق على عربية اللفظ بدخول "أل" على الإنجيل ، لأنه في نظر النحاة لا يقال في الأعلام العجمية : الموسى و العيسى والنُّوحُ و نحو ذلك ، إلا للمح الأصل بلا قياس .

و قراءة بعض بفتح الهمزة "أَنْجِيل" شاذَّة [31]، لا توجب أنه عجميّ ، بل لفظ شاذٌّ ، لم يسمع إلا في هذا بخلاف الكسر فوارد ، كـ"إِحْلِيل" و"إِكْلِيل"،واستدل البعض بقراءة الفتح على أنه عجميّ[32].

فالإنجيل عند هؤلاء عربيّ صريح ، إذ عللوا عربيته ، بمعان معجميّة هي التوسعة و الظهور والتنازع[33]، ثم استدلوا بالبنية الصرفية للكلمة ، فأشاروا إلى "أل" التعريفية اللاصقة بها ، لأن الأعلام الأعجمية لا تصاحبها ، وكذلك الأعلام العربية إلا للمح الأصل من غير قياس ، و استدلّوا أيضا بوجود صيغة "إِفْعِيل" في اللغة العربية ، كما اعترضوا أيضا على فتح الهمزة في قراءة "أَنْجِيل" لكونها شاذَّة .

و هذا الرأي قال به جماعة من العلماء [34] ، لأنه في نظرهم لا حاجة إلى دعوى العجميّة ، ما دام للكلمة أصل في العربية و معنى صحيح[35].

و أقرَّ بعض العلماء بعجمية "الإنجيل" لأنهم يرون أن الله هو واضع اللغات، و لا عجب أيضا أن يضع في قرآنه بعض لغاته[36]، و لأن هذه الألفاظ الأجنبية أصبحت عربية بفضل التخليط و التداول ، و أنكروا اشتقاق "الإنجيل" من "النَّجْل" لأن "الإنجيل" لم يكن كاملاً ؛ فظهر بعد كُمُونه[37] ، وعندهم قد تدخل "أَلْ" على الأعلام الأجنبية ذلك لبيان الجنس ، مثل "أل" في "الدينار" و"الدرهم"[38]، و"أل" عندهم قد تكون زائدة لازمة في الأعلام المنقولة أو المرتجلة ، كما في كلمتي "اليَسَع" و "السَّمَوأل"[39] ، و يحتجون على عجمته بالقراءة الشاذة

بفتح الهمزة في "الأنجيل" ، لأن وزن "أفعيل" غير مسموع في كلام العرب[40]، ونسبوه إلى اللغة السريانية[41] ، و إلى اللغة العِبْرِيَّة[42]، وإلى اليونانية[43] ، ومعناه البُشْرى أو البشارة ، لأنه مصدر الخلاص في نظر المسيحيين[44] .

و الظاهر أن لفظ "الإنجيل" عَلَمٌ على الكتاب الذي أُنْزِلَ على عيسى – عليه السلام – ، و ليس له حظ من الاشتقاق في اللغة العربية كما قال علماؤنا الأقدمون ، و ذلك لتقارب اللفظ في اللغات ، فهو في اليونانية (AGGELOS) ، و في الفرنسية (EVANGILE) ، و في الإيطالية (VANGELIO) و في الألمانية (EVANGLIUM)[45].

5 – التَّـوْرَاةُ : (TORAH)

يوجه بعض اللغويين لفظ التوراة إلى الأصل العربي ، و معناه : الضياء ، والظهور ، أو هو من التورية بمعنى التعريض ، والكناية عن الشيء ، و هي المعاني المعجمية التي ذكرها ابن منظور[46]، ثم يدعمون عربية التوراة بالتحليل الصرفي لبنيتها ، إذ يذكرون لها ثلاثة أوزان مختلفة ، و هي : "فَوْعَلة" – بفتح العين – و"تَفْعِلَة" – بكسر العين – ، و "تَفْعَلَة" – بفَتح العين – فوزن "فَوْعَل" هو رأي الخليل و سيبويه ، و الأصل فيها "وَوْراة" ، مثل الحَوْصَلَة و الدَّوْخَلَة ، وهو كثير في كلام العرب ، و إليه ذهب البصريون و البغداديون[47].

و الوزن الثاني "تَفْعِلَة" – بكسر العين – هو رأي الفراء ، و اعترض على وزن "تَفْعِلَة" أبو علي الفارسي ، لقلة هذا الوزن في الأسماء و كثرة "فَوْعِلَة"[48]، بينما يؤيد كثير من العلماء رأي الفرّاء ، ولا يصفونه بالشذوذ ، لأنه شبيه بالمصدر، أو هو مصدر التورية ، و منه توراة ، على حسب لغة طيء[49]، «يقولون في التوصية تَوْصَاة و للجارية جَارَاة ، و للنَّاصِيَةِ نَاصَاة »[50] .

و الوزن الثالث "تَفْعَلَة" – بفتح العين – أي أنها "توراة" ، والتاء فيها زائدة، و الألف منقلبة عن الياء ، و هذا الوزن قليل عند سيبويه[51] .

ومهما يكن من اختلاف في وزن "توراة" ، فإن اللغويين معظمهم لم يذكروا عجمتها ، فالصيغ المعروضة عندهم عربيّة فصيحة ، وأنهم لم يعترفوا بأنها عبريّة الأصل ، كما قال بعضهم[52] .

والظاهر أن اللفظ من اللغة العبرية ، لأن التوراة كتاب إلهي منزل على سيدنا موسى – عليه السلام – بلسان قومه بني إسرائيل ، وهو اللسان العبريّ ، فلا غرابة أن يشيع هذا اللفظ في اللغات ، وهو اللفظ الذي أوردته المعاجم الأجنبية باسم (TORAH)[53]، وهو لا يختلف صوتيا عن "التوراة" العربية إلا قليلا . والسبب فيما نعتقد هو التبادل الاجتماعي و التجاري بين اليهود و العرب ، وقرب الجوار ، لذلك كله لم يكن بدعا أن يحتفظ كلّ منهما بكلمات ، ولا سيما الكلمات الأدبية والعلمية[54] .

6 – السِّجِّيلُ : (سَنْكيلٌ)

يذهب معظم العلماء إلى أن لفظ"سِجِّيل"معرَّب من الفارسية ، وأصله "سَنْكْ كِلْ" ومعناه : "حجارة و طين"[55] ، وهو ما يذكره المفسرون في تفسير الآية الكريمة : ﴿ **وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ** ﴾[56] حيث يقولون : إن السِّجِّيلَ هو الطين المتحجر بالإحراق ، أو كما قال ابن عباس – رضي الله عنهما – هو حجر من طين كالآجر المطبوخ ، وأصله : "سنْك ريل" بالفارسية وعرّب إلى "سجِّيل"[57] .

و يذهب فريق آخر إلى أنها عربية و هي مشتقة من "سَجَلْتُهُ" ، أي : أرسلته ، فكأن الحجارة مرسلة للعذاب[58] . وقيل : هي من" أسْجلْتُ" ، أي : "أعطيت"[59] ، وقيل : هي من "سَجَّل" ، أي : ما كتب لهم من العذاب[60] .

ويذهب بعض المحدثين إلى أنها من السُّجور و هو اسم للحطب ، و لكل ما أوقد به ، فأبدلت الراء لاما ، فصارت "سجَّيلا" على وزن "فِعِّيل" ، وهي عربية صرفة ، لا فيها تعريب[61].

فهذه المعاني كلها قديمة متكررة عند المفسرين كما ذكرناه آنفا[62] ، والظاهر أنَّ إيرادها كلها على كثرتها يعود إلى وجوهها المحتملة ، و يعود أيضا إلى اختلافهم في دلالة الوضع للفظ ، كما اختلفوا في لغتها الأصل : أهي فارسية أم عربية ؟ و إن كانت أكثر المؤلفات تردها إلى اللغة الفارسية.

7- السُّنْدُسُ : (SINDOS)

ذكر بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى :﴿ **وَ يَلْبَسُونَ ثِيابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ**﴾[63] أن أصل "سُنْدُس" فارسي ، أو هندي ، و أصله بالهندية سَنْدُونْ ، و غيّرته الرومُ إلى سَنْدُوسْ ، و العرب إلى سُنْدُسٍ[64]. و يقولون أيضا أنه ضرب من "البُزْيُون"[65] يتخذ من "المِرْعِزَّى"[66] ، و هو معرّب ، و قيل : أصله سِنْدِيّ لأنه يجلب من السِّنْد ، أبدلت الياء سينا ، كما يقال في سادس : سادي ، ولا دليل عليه[67].

فحاصل اللغات التي تنتسب إليها كلمة "سندس" ثلاث ، هي : الفارسية و الهندية و الرومية ، و في ذلك دليل على أن العلماء مختلفون في اللغة الأصل التي أخذ منها اللفظ[68].

و أما المنكرون لوجود المعرب في القرآن الكريم فيصرون على أن الأصل عربي، وأنه مشتق من : « "سدس" العربية ، و زيدت فيه النون للمغايرة بين الخضرة و الزرقة ففي السندس زرقة تميزهُ ، و قد تبدل السين الأخيرة راء ، فيقال : سندر ، و السّندريّ : الأزرق »[69]، و قاس هؤلاء زيادة النون في "سندس" على زيادتها في كلمتي غضنفر ، وخترير[70].

و أكبر الظن أنهم تعسّفوا في عربيّتها ، لأن الكلمة قديمة في اللغة الفارسية بصورة "سندس "[71] ، وواردة في اللغة الهندية (SINDON) ،كما ورد ت في اللغة اليونانية (SINDOS)[72]، و وردت أيضا في ألفاظ الجاهلية ، منها قوْل المتلمس[73] :

جُدَدٌ سُودٌ كأنّ أرْنَدَجَا ❁ بأكرعه و بالذراعين سُنْدُسُ

و قال الراجز[74] :

وليلـــةٍ من الليالي حِنْدِسِ ❁ لَوْنُ حَوَاشِيهَا كلَوْنِ السُّنْدُسِ

فوجود "سندس" في هذه اللغات دليل على نقل الألفـــاظ مـــن لغـــة إلى أخرى، و قد يعود إصرار بعض العلماء على عربيته لارتباط اللفظ بثقافـــة دينيـــة محضة ، لأن السندس ما رَقَّ من الديباج الحريري الأخضر ، وهو لباس أهل الجنـــة كما ورد في القرآن الكريم ، و لم يأبه بعض العلماء بعربيته لضعف الدليل عندهم.

8 - مقَـــاليدُ : (KLIDHA)

وردت كلمة "المقاليد" في الآية الكريمة : ﴿ لـــــهُ مَقَـــالِيدُ السَّـــمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[75] ، فالمِقْلاد ، أو المقليد في عرف بعض اللغويين عربي من التقليـــــد ، وهو الإلزام ، و لا يجوز أن يقال عندهم أنه من "إقليد" تعريب "اكْلِيـــــدْ" لغـــة الروم، لأن "إفعيلا" لا يجمع على "مفاعيل" ، و هو من معنى الإلزام ، تقول : قلّـــد القضاء ، أي : ألزم نفسه النظر في أموره ، و المقاليد : المفاتيح ، كمفتاح البـــــاب لزومه الباب ، و القلادة : لازمة للعنق .

وهو عند المفسرين مجاز لا حقيقة ، أي : أن الله مالك السموات و الأرض، و متصرف فيها ، و العلاقة بينهما اللزوم ، و لا يملك أمرهما غيره ، و يكنى عـــن معنى القدرة و الحفظ ، و قيل : مقاليد : خزائن ، لأن الخزانة بالقفل و المفتاح[76] .

يعتمد هؤلاء اللغويون في البرهنة على عربية "مقاليد" على مستويين اثنـــين هما : المستوى الصرفي و المستوى الدلالي ، ففي المستوى الصرفي نوقشت صيغـــة

الكلمة من حيث مفردها و جمعها ، وهي مقلاد أو مقليد ، و الجمع مقاليد ، كما عرضت جميع تصاريفها ، ثم ذكر الاعتراض على مفردها "إقليد" لأن جمعه على صيغة "أفاعيل" ، أي : أقاليد ، و لا يجوز جمعه على "مفاعيل" . وأما المستوى الدلالي : فتحدثوا فيه عن المعاني المعجميّة للكلمة ، ومنها اللزوم ، وأما المعنى الذي يحتمله السياق فهو الملك و التصرف في السموات و الأرض .

فهؤلاء اللغويون لا يرون أن الكلمة أعجمية يونانية ، (رومية) ، متى وجد لها مادة عربيّة و جازت تصاريفها و وافقت ميزان الصرف ، و احتوت على دلالات جارية في لسان العرب.

و لكن ذهب كثير من العلماء إلى عجمية اللفظة ، و قالوا أن أصلها "كْلِيدْ" و هي فارسية[77] ، وقيل أصلها "كْلِيسْ" (CLEIS) ، أو"كْلِيدَة" (KLIDHA)[78] ، و قيل أنها يمنيَّة ، و عندهم "إقليد"[79] .

و حجتهم في التعريب أن مقاليد لم يسمع مفردها "مِقْلاَد" أو "مقليد" بمعنى المفتاح ، و لا ضير إن نُقِلت من "كليد" إلى إقليد ، و تجمع على مقاليد جمعا شاذا، كجمع مذاكير" من "ذكر"[80] ، لأن العرب إذا اشتقت من الأعجمي خلّطت فيه[81].

فمن خلال هذه الألفاظ القرآنية التي ذكرنا ، يتبين موقف بعض اللغويين من قضية المعرب في القرآن الكريم ، فهم لا ينكرون وجود بعضها ، سواء كانت أعلامًا ، وهي التي اتفق عليها جمهور اللغويين ، أو كانت أسماء أجناس ، و هي التي اختلفوا فيها ، فصرّحوا بأعجمية "إستبرق"، و "إسرائيل"[82]، و "سجيل" و"سندس" ،و"طالوت"[83]، و"فرعون"[84]، و"ماروت"[85]، و"المسيح"[86]، و"مشكاة"[87]، و"موسى"[88]، و"يحي"[89]، وغيرها من الألفاظ التي ذكرت على أنها أعجميّة في القرآن الكريم .

و في الوقت نفسه اعترضوا على أعجمية بعض الألفاظ ، و ردها إلى عروبتها بناء على منهجهم في التفسير ، حيث يقول بعضهم : « كل من فسّر القرآن بغير لغة العرب فهو من المغرقين في الجهل ، إلا ما قام دليله »[90]. فلذلك أنكروا أعجمية "آدم"، و"أباريق"، و "الإنجيل" ، و "التوراة" ، و "مقاليد" ، للأدلة التي ذكرناها سابقا ، و فسّروا كلمة "ابْلَعِي"[91]: بإدخال الطعام و الشراب في البطن على طريقة أكل الحيوان ، و قالوا إن إدعاء بعضهم لغة حبشية أو لغة هندية إغراق في الجهل[92]. وفسّروا كلمة ﴿ أَوّاب ﴾[93] بأنّه رجّاع إلى الله عز وجل عن البطالة بالطاعة و التسبيح والاستغفار و عجيب عنده أن تنسب "أواب" إلى اللغة الحبشية[94]. و قالوا في كلمة ﴿ أَوِّبِي ﴾[95] : هو من التأويب و معناه التسبيح ، وهو لفظ عربي لا كما قال الطبري أنه من اللغة الحبشية [96]. و قالوا في كلمة ﴿الرَّبَّانِيُّونَ ﴾[97]: أنه لفظ عربي مأخوذ من الربّ ، وزيدت فيه الألف و النون ، شذوذا قياسا ، كالتحتاني و اللحياني ، والياء للمبالغة كأحمر وأحمريّ[98]. و أنكر بعضهم أعجمية كلمة ﴿ الرَّحْمَن ﴾[99] ، و قالوا ليس معربا بالخاء المعجمة ، كما قيل[100] .و قالوا في كلمة ﴿ قَسْوَرَة ﴾[101] : هي الأسد ، بمعنى القسر ، أي القهر والغلبة ، وهو لفظ عربي لا حبشي كما قيل[102]،و فسّروا كلمة ﴿ نَاشِئَة ﴾[103] بالنفس التي تنشأ في الليل للعبادة ، من صلاة و غيرها ، وأنكروا على من ادعى أن اللفظ حبشي معرب[104].

هكذا كان العلماء يردون كل لفظ قرآني إلى أصله العربي متى وجد له دليل تقبله اللغة العربية ، اللهم إلا إذا انعدم الدليل عندهم ، و فُقِدَتْ كل مسوّغات عروبته ، فلا مفرَّ من الإقرار بأصل الأعجمية ، و ليس معنى ذلك أنه خروج عن بيان اللغة العربية[105].

و إننا في هذه البحث لا ندعي الصواب المطلق لآراء هـؤلاء العلمـاء في تأصيل الألفاظ القرآنية ، إنما همنا الوحيد أن نبين جهودهم العلميـة فيـها ، لأن تحديد الألفاظ المستعارة من غير الأعلام ، أمر عسير ، لعدم وضوح تاريخ اللغـات الذي يترتب عليه عدم تمييز اللغة الأصلية من حديثها ، فالوقوف على أقـدم لغـة إنسانية لم يثبته البحث العلمي إثباتا ، و ما محاولة البرهنة على اللغة الأصيلة و اللغة الدخيلة إلا اجتهادات شخصية قد يعوزها السند العلمي الصحيح ، و الشاهد علـى ضعف الدليل في تمييز قدم اللغات من حديثها نسبة اللفظ الواحد إلى كثـير مـن اللغات ، و إن أضناهم البحث في مثل هذه المسألة قالوا بتوافق اللغات ، و ما تـزال صعوبة البحث قائمة إلا إذا أثبت العلم أولى اللغات ، و آنذاك قد ينتفي ما أثبـت بالأمس من نظريات .

الإحالات والمراجع

[1]- اختلف اللغويون في مصطلح التعريب ، فأطلق عليه المعرب و الدخيل و المولد ، فالمعرب عند أبي منصـور الجواليقي هو « ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي و نطق به القرآن المجيد و ورد في أخبار الأعجمـي على حروف المعجم ، تحقيق ف . عبد الرحيم (ط1) دار القلم بيروت 1990م . ص : 91 .

فالجواليقي في هذا التعريف يقيد المعرب بعصر الاحتجاج ، بينما يذكره الجوهري و السيوطي و الخفاجي من غير تحديد الزمن . قال الخفاجي : هو « نقل اللفظ من العجمية إلى العربية ». شـفاء الغليـل (دط) 1282هـ ، (دب) ص : 03 . و يراجع : الصحاح للجوهري مادة (عرب) ، و المزهر : 268/1 .

و مصطلح الدخيل أعم من المعرب ، لأن اللفظ الأعجمي منقول إلى اللغة العربية بعد عصر الاحتجاج، و أما مصطلح المولد فهو اللفظ المستحدث في اللغة العربية سواء كانت أصوله من اللغة العربية أو كان منقـولا من لغة أجنبية بعد عصر الاحتجاج أيضا فالدخيل و المولد يشتركان في عامل الزمن ، كما يشتركان أيضـا في اللغة المأخوذ منها ، إلا أن المولد يختلف عن الدخيل و المولد في كونه قد يستحدث من مادة عربيـة الأصـل لكنها بعد عصر الاحتجاج .

[1] -راجع : الأصول ،تمام حسان ، ص : 289 ، و كلام العرب حسن ظاظا ص : 79 ، و فقه اللغة ، عبد الواحد وافي ، ص : 203 . و العربية(خصائصها و سماتها) ، عبد الغفار حامد هلال ، ص : 468 . والعربية بين الطبع والتطبيع ،عبد الجليل مرتاض ، ص : 165 .

[2] -الأصول ، تمام حسان ، ص : 289 ، و كلام العرب ، (من قضايا اللغة العربية) حسن ظاظا ص : 79 .

[3] -الخصوص في فقه اللغة العربية ، السيد يعقوب بكر (دط) دار النهضة العربية ، بيروت (دت): 5/2.

[4] -الكتاب : 306/4 ، و الخصائص : 359/1 .

[5] -الشعراء ، الآيات : (192 ، 193 ، 194 ، 195) .

[6] -الصاحبي ، ص : 42 .

[7] -الصاحبي ، ص : 43 ، و أدب الكاتب ، ص : 384 ،و الإتقان في علوم القرآن : 135/1 ، و المزهر في علوم اللغة : 266/1 . و هل في القرآن أعجمي ؟ علي فهمي حشيم. (ط1) . دار الشرق الأوسط بيروت . 1997م . ص : 17 .

[8] -المعرب من الكلام الأعجمي ،ص :91 ، و الإتقان: 135/1 و المزهر: 266/1.والصاحبي ،ص:43.

يراد بالتعريب إخضاع لفظ أجنبي لطرق الصياغة و العادات التطبيقية العربية كإهمال بعض الحروف الأعجمية التي لا علاقة لها بالحروف العربية ، مثل حرف الفاء المجهورة (v) ، و الباء المهموسة (p) ، و إبدالها بما هو أقرب إليها في العربية و منه أيضا الالتزام بظواهر التأليف و تجاور الحروف في الكلمة الواحدة كما فعلوا في كلمة (مهندز) حيث أبدلوا الزاي بالسين فصارت (مهندس) لأن الدال لا تتبعها الزاي في اللغة العربية ، و كما أدخلوا (الْ)التعريف على اللفظ الأجنبي و عومل معاملة اللفظ العربي الصريح .

يراجع : الكتاب:305/4 ، و الخصائص :375/1 ، و المعرب للجواليقي ،ص : 100.و الأصول ،تمام حسان،ص:290 ، و دراسات في فقه اللغة ، ص: 319 ، و فقه اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، ص : 197.

[9] -اللغة العربية و علومها ، عمر رضا كحالة ، (دط) المطبعة التعاونية دمشق 1971م ،ص : 32.

[10] - تيسير التفسير ، (تحقيق طلاي) : 62/1 .

[11] -المصدر نفسه ،(تحقيق طلاي) : 65/1 .

[12] -المصدر نفسه ، (الطبعة الحجرية) :10/5 .

[13] -الجامع لأحكام القرآن : 240/1 ، و تفسير روح البيان : 100/1 ، المعرب الجواليقي ، ص : 102 .

[14] -الكتاب : 552/3 ، و الممتع في التصريف : 365/1 .

[15] -المعرب الجواليقي ، ص : 102 .

[53] -Dictionnaire LAROUSSE, DANIEL REIG, LIBRAIRIE LAROUSSE, CANADA, 1983.P :784.

[54] -تاريخ اللغات السامية ، أ. وَلْفِنْسُون ، (ط1) ، دار القلم ، بيروت ، 1980م ، ص : 92.

[55] -أدب الكاتب ، ص : 527 ، و الكشاف : 416/2 ، 799/4 ، و المعرب ، الجواليقي ، ص : 365 ، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ، ص : 60 . و الصحاح ، الجوهري (سجل) ، و لسان العرب (سجل) :1946/22.و نصوص في فقه اللغة : 35/2 .

[56] -هود ، من الآية (82) ، و الآية كاملة هي : ﴿ فلمَّا جاء أمرُنا جعلنا عالِيهَا سافِلَها و أمطرنا عليها حجارةً من سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴾ .

[57] -تيسير التفسير ، (الطبعة الحجرية) : 239/3 .

[58] -الكشاف : 799/4 ، المعرب (هامش) : 365 ، و لسان العرب مادة (سجل) :1946/22.

[59] -لسان العرب (سجل) :1946/22.

[60] -المصدر نفسه :1946/22.

[61] -هلل في القرآن أعجمي ؟ ص : 68 .

[62] -يراجع : لسان العرب ، مادة (سجل) ،:1946/22. و الكشاف : 416/2 و 799/4 .

[63] -الكهف ، من الآية (31) .و الآية كاملة هي : ﴿ أولئك لهم جناتُ عدْنٍ تجري مِنْ تحتهِمْ الأنهار يُحَلَّـوْنَ فيها مِن أساوِرَ من ذَهَبٍ ، و يَلبَسُون ثِيابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدَسٍ و إِسْتَبْرَقٍ ، مُتَّكِئِينَ على الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّـوابُ و حَسُنَتْ مُرْتَفَقا .. ﴾

[64] -تيسير التفسير ، (الطبعة الحجرية) : 181/3 .

[65] -نوع من اللباس الرقيق الشفاف خاص بالنساء . يراجع : المعرب ، الجواليقي (هامِش) : 361 .

[66] -المِرعزّى أو المرعِزَاء ، هو : الزغب الذي تحت شعر العنز ، و أصله مِريزي من اللغة النبطية . يراجع :المزهر : 283/1 ، و لسان العرب ، مادة (سندس) : 2117/24.

[67] -تيسير التفسير ، (الطبعة الحجرية) : 445/6 .

[68] -هل في القرآن أعجمي ؟ ص : 76 .

[69] - المرجع نفسه ، ص: 76 .

[70] -المرجع نفسه ، ص : 77 .

[71] -المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ، (هامش) ،ص : 64 .

[72] -هل في القرآن أعجمي ؟ ص : 76 – 78 .

[73] -المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب،(هامش)،ص : 64 .

[74] -المعرب ، الجواليقي ، ص : 361 .

75 - الزمر ،من الآية (63) . و الآية كاملة هي : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَـلتِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ ﴾ .

76 -تيسير التفسير ، (الطبعة الحجرية) : 83/5 .

77 -المعرب ، الجواليقي ،ص : 116 ، و الكشاف :140/4 . و الإتقان في علـــوم القـــرآن :140/1 . و المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ، ص : 87 . و تفسير روح البيان : 131/24 .

78 -المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ،(هامش) ص : 87 ، و المعرب (هامش)، ص : 116 .

و هل في القرآن أعجمي ؟ ص : 107

79 -تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ، (دط) ، دار الكتاب العربي ، مصر 1967م : 32/9 .

80 -تفسير روح البيان : 131/24 .

81 -الكتاب:306/4 و الخصائص : 359/1 .

82 -تيسير التفسير، (تحقيق طلاي) :82/1 ، و الجامع لأحكام القرآن : 281/1 ، و المعرب ، ص : 106 .

83 -تيسير التفسير ، (تحقيق طلاي) : 119/1 ، و المعرب ، ص : 147 .

84 -تيسير التفسير ، (تحقيق طلاي): 194/1 ، و الجامع لأحكام القـــرآن : 323/1 ، و المعـــرب ، ص : 47 .

85 -تيسير التفسير ، (تحقيق طلاي) :202/1 ، و المعرب ، ص : 587 ، 629 .

86 -تيسير التفسير ، (تحقيق طلاي) : 324/1 .

87 -تيسير التفسير ، (تحقيق طلاي) : 227/1 ، و المعرب ، ص : 586 ، و المهذب ، ص : 87 .

88 -تيسير التفسير ، (تحقيق طلاي) : 102/1 ، و الجامع لأحكام القرآن: 337/1 ،و المعرب،ص : 567.

89 -تيسير التفسير ، (تحقيق طلاي) : 310/1 ، و المعرب ، ص : 103 .

90 -تيسير التفسير ، (الطبعة الحجرية) : 195/3 – 196 .

91 -هود ،من الآية (44) . و هي ﴿ و قيل يا أرض ، ابْلَعِي ماءك ، و يَا سَمَاءُ اقلعِي و غيضَ الماءُ و قضـــي الأمرُ و استوت على الجوديِّ و قيل بُعْدًا للقوم الظالمين ﴾ .

92 -تيسير التفسير (الطبعة الحجرية) 195/3 ، و المهذب ص : 39 .

93 - ص ، من الآية (17) . و الآية كاملة هي : ﴿ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَ اذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّه أَوَّابٌ ﴾ .

94 - تيسير التفسير (الطبعة الحجرية) 10/5 ، و المهذب ، ص : 43 .

95 -سبأ ، من الآية (10) و هي : ﴿ و لقد آتينا داود منّا فضلا يا جبالُ أوِّبي معه و الطيرَ و ألنّـــا لـــه الحديد ﴾ .

96 -تيسير التفسير (الطبعة الحجرية) 4 (ق2)/902 ، و المهذب ص : 43 .

[97] -المائدة ،من الآية (44) . وهي : ﴿ إِنَّآ أنزلنا التوراةَ فيها هدى و نورٌ ، يَحْكُمُ بها النَّبِيُّون الذين أسلموا للذين هادوا و الربانيون و الأحبار بما استحفظوا من كتاب الله و كانوا عليه شُهداء فلا تَخْشَـــوُا النَّـــاسَ وَ اخْشَوْنِ وَ لاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هم الكافرون ﴾ .

[98] -تيسير التفسير (تحقيق طلاي) :374/2 ، و المعرب،ص : 330 ، و المهذب ، ص : 55 .

[99] -الفاتحة ، من الآية (2) و هي : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ .

[100] -تيسير التفسير (تحقيق طلاي): 5/1 و شرح لامية الأفعال : 21/1 ، و الجامع لأحكام القرآن : 91/1 و المهذب ، ص : 56 .

[101] -المدثر ، من الآية (51) . و هي : ﴿ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾.

[102] -تيسير التفسير ،(الطبعة الحجرية) : 415/6 ،و المهذب،ص : 78 وهل في القرآن أعجمي ؟ص :187.

[103] -المزمل ، من الآية (6) .و هي : ﴿ إنّ ناشئة الليل هي أشدُّ وطئا و أقوم قيلاً ﴾ .

[104] -تيسير التفسير،(الطبعة الحجرية) : 386/6 .و المهذب ،ص : 90 .

[105] -تيسير التفسير ، (الطبعة الحجرية) :287/3 .